

الطفولة المشردة في مصر أهم وجه من وجوه الإصلاح الاجتماعي بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعه

كتب الأستاذ بروس بلفن (Bruce Belvin) صاحب مجلة "الجمهورية الجديدة" الشهيرة مقالا في شهر أبريل سنة ١٩٤٢ عن إهمال النوايا الناشئين جاء فيه :

" هناك عقبة كأداء في أن معظم الناس ، ولا سيما الأطفال والفتيان الناشئون ، يعيشون في أوساط وبيئات غير ملائمة لهم ، حتى لا نستطيع أن نتكهن بمقدراتهم ، وما قد يتاح لهم أو ما لا يتاح .

ونحن نعلم بالبحث العلمي أن هناك ألوف العباقرة من الأحياء قد طمرهم الفقر والجهل والمرض في مستنقعهم ، فلم ولن تسمح لهم فرصة لإظهار كفاءتهم ، وأول واجب علينا أن نرفع الأرواح والأوساخ والأنقاض التي غمرتهم وأغرقتهم وحرمتهم تمام النمو والازدهار ، وهؤلاء الأحياء المغمورون المطمورون هم ثروتنا الراحنة وبضاعتنا الحاضرة ، وأي مجهود نبذله في تحمين الحال غير مجد ولا مثمر ما لم نتقدمهم ومثلنا فيه كمن ينحت في الظلام الحالك تمثالا جميلا فلا يتفجع به أحد " .

تأمل هذا الكلام ! فهل ترى هذا الرأي المسند إلى عالم غربي يختلف عما نادى به المرحوم مصطفى كامل في مصر عن الطفولة الفقيرة والمشردة في أول هذا القرن ، في جريدتي اللواء " والعالم الإسلامي " وفي خطبه المتعددة وهو قوله بنصه :

" اعلموا أيها المصريون أن في أكواخ الفقراء ، وفي الأزقة والحارات ، وتحت أقدام الفقر والجهل والحاجة الملحة والأمراض المفضية نوايا كثيرين لا تعوزهم إلا المعونة المسادية والعناية الأدبية ليخرجوا من تحت الركام والأنقاض ؛ ليضيئوا العالم بمصابيح ذكائهم . . فاعملوا على إخراجهم وتبويرتهم ليعودوا عليكم وعلى البلاد والعالم بأعظم المنافع " .

ولكن من ذا الذي استمع لقوله أو نفذ نصيحته ، أو عمل بوصيته التي كررها في مقالات وخطب عدة ؟ إننا بعد موته باثنتين وثلاثين سنة ، أي جيل كامل ، ما تزال نبحث في الطفولة المشردة ونؤلف الجمعيات ، ونقيم الحفلات لننقذها من مصابها ونستشهد في الأخذ بتأصر هؤلاء الضعفاء بأقوال علماء أوروبا وأمريكا !

لقد قام الانجليز بضروب من الإصلاح والرعاية فأسسوا الملاجئ النخمة والدور النفسية وزودوها بالمال الكثير ، وبناية العلماء لجمع شتات الطفولة المشردة ، ومن أهم مؤسساتهم

دار برناردو" الى يتفق عليها في بعد مئات الالف ايجنيهات - زيود بهما المياسير والاعياء -
بغير طبل ولا زمر ولا تهويش ولا تهريج في السر والخفاء . فان إدارة هذا الملحق العظيم تنشر
في امهات الصحف ولا سيما جريدة التيمس اعلانا وجيزا هذا نصه : "بيت برناردو لرعاية
الطفولة المشردة في حاجة الى عشرين ألف جنيهه" .

فلا تمضي أربع وعشرون ساعة حتى يغطي هذا القدر من المال بشيكات ضخمة يلح
اصحابها على الإدارة أن تمنحني أسماءهم ، فانهم لا يطلبون شهرة ولا ثناء من الخلق ولا اعلانا عن
انفسهم ، ولكنهم يريدون وجه الله ! وهم يعلمون والجمهور يعلم أن ما يدفعونه يصل حتما الى
أيدي آمنة وذم طاهرة وخمائر حية . فلا تمتد اليه يد غير التي تنفقه فيما دفع لأجله ، وما سمع
الناس قط ، ولا علموا ، أن جمعية خيرية " الاسم " بددت أو اختلست ولا أمين صندوق
سرق وهرب ، والبحث جار عنه ، للقض عليه وتقديمه للمحاكمة ؛ ولا سمع ولا علم أن رئيس
ملجأ ، أو دار للأطفال اغتنى عن طريق الساب والنهب ، ولا مدير ملجأ توأطا مع المتهمدين ،
ولا أطفالا ماتوا بالحملة بسبب الإهمال أو سوء العلاج .

ليس هذا وحسب ، بل إن " دار برناردو " وغيرها من دور البر بالأطفال يعيشون بهم
بعد أن تشتد سواعدهم إلى كندا فيتعلمون صناعة أو زراعة وينسون الشقاء ، و يعودون
إلى وطنهم الأصيل رجلا ذوى أخلاق وكفايات فيكونون ربحا عظيما للأمة . وإن شاعوا
البقاء في كندا أقطعتهم الحكومة أرضا يزرعونها أو أسست لهم مصانع ينتجون فيها ما يعود
على بلادهم بالخير العميم .

وبك ترى رجالا أمثال فورد الأمريكي يؤسسون مستعمرات للأولاد تربيون فيها على
العمل والعمل والرجولة دون أن يقيدوا بشرط أو تعهد ، حتى اذا كبروا وظهرت مواهبهم
البحقوا بأعمال كبيرة مجدية . وقد تخرج عشرات الألوف من الشباب في تلك المستعمرات
الكريمة . وأسسوا مدنا ومصانع ومزارع لها ثروتها ولها فوائدها العميقة . فأنقذ الله بهذه
الوسائل هؤلاء الأطفال أنفسهم وأنقذ المجتمع من الشرور التي كانت لا بد واقعة لو استمروا
في شقوتهم وتشردهم . ونجا الوطن من الإجرام الفظيع الذي يقتربه الطفل الجائع والمريض
والخامل والحاقد على الإنسانية والمملوء القلب بالحسد الاجتماعي والمنطوية نفسه على البغض
والكراهية والكفر بالأديان بسبب ما شهدته في نفسه . دع عنك ما أصابه من المجتمع
من الأمراض المعدية وفساد الأخلاق والتدهور الاجتماعي .

كل هذه الأعمال الجليلة قامت بها الجماعات والأفراد في هدوء وسكون بلا تهليل
ولا تهويش ، ولا حفلات تدور فيها الخمر والمخاضرة والتهاك والبذخ والتبذير باسم الطفولة

المثردة ثم تنظر حولك فتري عشرات ألوف الأطفال في عاصمة كالقاهرة يفتشون التراب ويلتحفون الهواء في الصيف والشتاء ويسرون في الطرق في "هلاهيل" وبعضهم لا يجد ما يستر به عورته وهم معظمهم لم يذوق طعاما منذ أيام وإن ذاقه فما يعثر عليه في القمامات والقفايات وأكوام الزبالة مما تعافه الحيوانات ومما يجعل سموما فتاكة وجرانيم قتالة، ثم اقرأ في الصحف أن رصيد الجمعية الفلانية عشرات ألوف الجنيات في بنك كذا أو مصرف كيت وراقة راكدة على زعم صحة ما ينشر، فسأل نفسك : ما فائدة إيداعها البنوك و بطون هؤلاء الذين جمعت باسمهم حاوية وأجسامهم ضامرة ذاوية وعقولهم من التلميم خالية ؟ هل هو حلم أو حقيقة ؟ وهل هذا خيال أم حيلة !

إن ما رأيته من أحول هؤلاء الأطفال منذ ثلاثين عاما ما أزال أراه إلى الآن وقد زاد عددهم وانتشرت أوبنتهم وامتلات بهم الميادين والشوارع والأزقة. ولا شك أن الذين رأيتهم منذ ثلاثين عاما وما زالوا على قيد الحياة قد ملأوا السجون وشغلوا المحاكم والشرطة بما اقترفوه - معذورين ومدفوعين - من الجنايات والجرائم .

أين هذا مما يبذلونه في أمريكا لرعاية هؤلاء الأطفال وتنشئتهم ؟

كتب كارل ديتزر في مجلة ماركوري إن عصابة تألفت في الصيف الماضي من الأطفال وبدأوا يعيشون في الأرض والحقول فسادا ، فلم يرسل في أثرهم رجال الشرطة ، بل فتاة من البوليس النسائي خالطتهم وامتزجت بهم ودرستهم على مهل ثم أرضت كل طفل منهم بما كان يحول في خاطره ، ثم عرضت عليهم الالتحاق بمدرسة فأقبلوا عليها بسرور وفرح وقامت إدارة "البر المنظم" بنفقاتهم فاكسبهم المجمع بالدين والرفق ولم يطرحوا في إصلاحية الأخوات ليلقوا عذابا أو جلدا أو فساد أخلاق ويتلقوا دروس الإحرام في ظل حكومة غريبة منورة ولم يحدث قبض ولا سجن ولا محاكمة ولا صحيفة سوابق ولا انتقام اجتماعي من السلطة الحاكمة .

وسارت فتاة الشرطة ويسمونها Ladies of the law في حي سبي الشهرة فرأت سارا من الكسالى "والنابالة" يتفرجون على طنبل يامب على الكنجة ، ليرقص كلبا على الإفريز فأخذت الطفل والكلب إلى إدارة البر وسئلت الطفل وعمره تسع سنوات عن سبب وقفه وترقيص الكلب . فأجاب بأنه إنما يفعل هذا ليعول أمه ورجلا اسمه "العم جيم" يعاشرها ، وأن العم جيم هذا يصربه إذا لم يعد إلى الدار بمبلغ معين من المال . فأخذت الفتاة الطفل والكلب ليدها على بيت أمه والعم جيم ، وقد تبعها ضابط المباحث في سيارة فلما وقفت بباب المرأة عرض عليها الضابط معونته وليكنه لم يتدخل ولم يظفر نفسه . وإن كان الخي

سكر ظاهر فأظهرها العداة والمقاومة "لفنائة الشرطة" ولكنها لا يتبها حتى خضعا لأمرها .

وإذا فر طفل من بيت أهله أو طرده أقاربه فإن الفناة المختصة تبحث عنه حتى تهتدى إليه وتفحص حاله ثم ترده أو تنقله إلى ما جأ يصلح من شأنه ويبيده إلى المجتمع رجلا أو امرأة صالحين للحياة .

وفي أحد المساكن وجدت فناة الشرطة ثلاثة أطفال تركهم والداهم ليذهبوا إلى الصور المتحركة وأثناء وحدة الأطفال بتر أحدهم وعمره ثلاث سنوات أصبغ من أصابع قدمه بسقوط امرأة مكسورة عليها فنقلته الفناة إلى المستشفى وأسعفته بعناية جراحية سريعة، وقد أظهر تحقيق هذه الحالة أن الوالدين مدمنان على الخمر ولا يصاحبان لتربية الأطفال. فسقطت حقوق حضانتها ونقل الأطفال إلى حيث يعنى بهم .

وفي الساعة العاشرة ليلا وجدت في حانة طفلة لا تتجاوز الرابعة عشرة، وتزعم أنها بنت ٢١ عاما (أى بالغة رشدها) تجالس وتعاقر رجلا في الأربعين، ففحصت فناة البوليس يديها (لتعرف سنها بالتقريب) ثم أخرجتها من الحانة وحققت معها فظهر أن سنها ١٤ سنة وأن الرجل ابن أربعين وأنه متزوج، وقد عاشت الفناة والرجل عيشة الزوجين قبل ذلك ، فنقلت الفناة إلى الملجأ والمستشفى وزج الرجل في أعماق السجن ليلقى عقابه .

ويوجد في الحدائق العامة أطفال نائمون جائعون وبعضهم عرضة لهجوم جناة الأخلاق، فينقذ الأطفال وينظر في شؤونهم بحيث لا يعودون إلى ما كانوا فيه من الضلال أو الشقاء.

وإذن نحن نرى في عواصم الغرب بعض آثار الشقاء ولكنا نجد العلاج القوي المناسب في زمانه ومكانه تتولاه عقول رشيدة ونفوس كريمة وأياد ناعمة .

فهل فكر أولياء الأمور في مصر في وضع نظام مماثل وهو لا يحتاج إلى تشريع خاص ولكن يحتاج إلى حسن تطبيق القوانين واختيار القادرين على هذا الإنقاذ الشريف الجميل. إن الوقاية خير من العلاج ونحن لا نعرف الوقاية ونسى استعمال العلاج دائما .

نقد كتب أحد مشاهير الأدباء يصف منظرا دائما فأجعا من مناظر الطفولة المشردة على عتبة وقد نام الأخ وأخته يفتشان التراب والأرض الباردة ويلتحفان جوا شديد الرطوبة ، فكان الطفل ملتف في ثوبه الممزق كأنه بدن ممزق قد بترت أعضاؤه وتراكت مال رأسه على وجهه ، أما البنت فكانت من الضعف والتداعى والنحافة بحيث تبدو . ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤

بعد التعب ، ولا نومة المرض بعد الصحة ، ولا النفاهة بعد المرض ؛ بل نومة القنوط القاتل ، فإذا تأمل العابر هذين الجسدين وهذين الوجهين فذكر أن الأول مخلوق ليكون رجلا يكافح في الحياة ويجاهد ويحادل في سبيل الوطن وله قلب يؤمن بالله وعقل يعي المعلومات وفؤاد يفقه الخير والشر ونفس ملائمة بالعواطف والآمال ، وأن الثانية شابة جعلت لتكون شابة وامرأة وزوجة وأما تحمل وتلد وترضع وتربى رجلا ونساء للانسانية وللأقدار ، أدركت العابر عبرة ، ثم رهبة ، وعمره انفعال شديد وتفكير طويل ، فإن كان هذا نصيبهما في طفولتهما فإذا أعدت لهما الحياة في مراحتهما ونموهما .

وقد رأيت في ميدان باب الحديد في حديقة مستديرة هناك ، صارت الآن نجبا ، طفلا جميلا باهر الجمال ممزق الثياب قذر اليدين والرجلين نائما في بهرة النور فوقفت أتأمله وأسأل نفسي : لم اختار النور الباهر ينصب على عينيه فيزعج نومه ؟ فقال لي رجل : إنهم يختارون النوم في النور لئلا يعتدى عليهم أحد من "أولاد الحرام" لو ناموا في الظلام الخالك فسألته : وإذا أطفئت الأنوار ؟ قال : يشرق عليهم ضوء القمر !

وانجملناه لو أشرق القمر على هذه الوجوه والأجسام ، وقد كان القمر في ذهني دائما قرين الجمال والسعادة والمناجاة والحلوة الهنيئة ، أما الآن فقد صار في نظري مطلقا على مخزيات الإنسان وفضائحه ، ولو كان القمر ماهولا بساكنيه ورأى أحدهم هذه الصورة الفاجعة فإذا يقول سكان القمر عن الأرض ؟ أنهم يسمونها جهنم !



هذه صورة لا نصيب للأخيلة فيها ، ولا فضل للفن على أسطرها ، ولا دخل إبرة الوصف في حقيقتها ، بل هي صورة من الحقيقة التي أراها متكررة ويراها كل من يجوس خلال الطرق وله قلب وشعور وله عاطفة إشفاق على فريق من أبناء هذه الأمة ، وهذه الصورة تنادي : البدار ! البدار قبل أن تفر الفرصة ويضيع الرجاء .

محمد لطفي جمعة